# دك الصواعق النارية

## على رؤوس من قرر عقائدالمعتزلة والأشاعرةالكلابية

(النسخة المنقحة الثانية)

تأليف

خالد بن عبدالله العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومستدرج العاصين بمكره، الذي أظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، الظاهر على خلقه فلا ينازع، الحكيم فيما يريد فلا يدافع.

أحمده على إعزازه لأوليائه، ونصرته لأنصاره، وخفضه لأعدائه، حمد من استشعر الحمد باطن سره، وظاهر جهره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى بالمعاداة فيه والموالاة ربه.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رافع الشك وخافض الشرك، وقامع الكذب والإفك؛ اللهم صل على محمد وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، وتابعيهم الأخيار ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد : فقد وقفت على كلام متضمن لأنواع من الكذب والمرج جامع لأمور من الباطل، لا يسع مسلم السكوت عنه، خشية أن يفتن به بعض الجاهلين، فيعتمد عليه؛ فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.

وقد جعل الله في كل زمان فترة، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون بدين الله أهل العمى، ويحيون بكتاب الله الموتى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وتائه ضال قد هدوه؛ فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

فقد عنَّ لي الجواب على ما نسب للإمام الدارمي رحمه الله تعالى في كتابه النقض وهذا نصه :" قيل له : لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة. وقد أجمعنا على أن الحركة والنزول والمشي والهرولة والاستواء على العرش، وإلى السماء قديم، والرضى والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة، فكل ما خرج من قولِ : "كُنْ" فهو حادث. وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم. والله أعلم."

**ولي على هذا الكلام المنسوب للإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – وقفات، ولوازم :**

**الأولى** : إن من قال بأن الصفات الفعلية لله عز وجل كالنزول والمجيء والاستواء والضحك وسائر ذلك، **صفات قديمة أزلية**[1] **وهي في الذات للذات لا تتعلق بمشيئته وقدرته،** فقد قال بقول الكلابية والأشعرية ومن وافقهم، فقد قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي – رحمه الله تعالى – في النقض ٨٦٣/٢ : "ثم عارض المعارض أيضا أشياء من صفات الله تعالى التي هي مذكورة في كتاب الله، ونازع في الآيات التي ذكرت فيها ليغالط الناس في تفسيرها؛ فذكر منها : الحب والبغض، والغضب، والرضى والفرح، والكره، والعجب، والسخط، والإرادة، والمشيئة، ليدخل عليها من الأغلوطات ما أدخل على غيرها مما حكيناه عنه غير أنه قد أمسك عن الكلام فيها بعدما خلطها بتلك، فحين أمسك المعارض عن الكلام فيها أمسكنا عن جوابه، وروينا ما روى فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يحتمل أغلوطاته، فإلى الله نشكو قوما هذا رأيهم في خالقنا ومذهبهم في إلهنا.

مع أنه عز وجهه وجل ذكره قد حققها في محكم كتابه، قبل أن ينفيها عنه المبطلون، وكذبهم في دعواهم قبل أن يدعوه وعابهم به قبل أن يحكوه. ثم رسوله المجتبى وصفيه المصطفى فاستغنينا فيه بما ذكر الله في كتابه منها وسطر، وسن رسوله المصطفى وأخبر، وردد من ذكرها وكرر؛ فمن يكترث لضلالتهم بعد قول الله تعالى : {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي**

[1] وقد نقل شيخ الإسلام في الفتاوى ٨٦/١٢ عن أئمة أهل السنة والجماعة ومنهم الإمام أحمد، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي صاحب النقض والاثرم والمروذى وأبى زرعة وأبى حاتم وغيرهم من الأئمة رحمهم الله تعالى إنكارهم على من قال أن صفات الله عز وجل قديمة أزلية.

سَبِيلِهِ صَفّاً}[٢]، أم قوله : {**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** }[٣]، {**فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**}[٤] فجمع بين الحبين : حب الخالق وحب المخلوق، متقارنين.

ثم فرق بين ما يحب وما لا يحب، ليعلم خلقه أنهما متضادان غير متفقين، فقال : {**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ**}[٥]، و{**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}[٦]، وقال تعالى : {**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ**}[٧]. ثم فرق بين سخطه وإسخاط العباد إياه، فقال : {**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ**}[٨]، وقال : {**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ**}. ثم ذكر إغضاب الخلق إياه، فقال تعالى : {**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ** }[٩] يقول أغضبونا، فذكر أنه يَغضَب ويُغضَب. وقال تعالى : {**رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**}[١٠]، {**وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ**}[١١] فهذا الناطق من كتاب الله يستغنى فيه بظاهر التنزيل عن التفسير، وتعرفه العامة والخاصة، غير هؤلاء الملحدين في آيات الله الذين غالطوا فيها الضعفاء، فقالوا : نقر بها كلها؛ لأنها مذكورة في القرآن لا يمكن دفعها، غير أنا لا نقول : يحب ويرضى ويغضب ويسخط ويكره في نفسه، ولا هذه الصفات من ذاته على اختلاف معانيها، ولكن تفسير حبه ورضاه بزعمهم ما يصيب الناس من العافية والسلامة والخصب والدعة، وغضبه وسخطه بزعمهم ما يقعون فيه من البلاء والهلكة والضيق والشدة؛ فإنما آية غضبه ورضاه وسخطه عندهم ما يتقلب فيه الناس من هذه الحالات وما أشبهها، لا أن الله يحب ويبغض ويرضى ويسخط حالاً بعد حال في نفسه.

---

٢ سورة الصف، آية ٤.

٣ سورة البقرة، آية ٢٢٢.

٤ سورة المائدة، آية ٥٤.

٥ سورة النساء، آية ١٤٨.

٦ سورة الأنعام، آية ١٤١.

٧ سورة المائدة، آية ٨٠.

٨ سورة محمد، آية ٢٨.

٩ سورة الزخرف، آية ٥٥.

١٠ سورة المائدة ، آية ١١٩.

١١ سورة التوبة ، آية ٤٦.

فيقال لهؤلاء الملحدين في آيات الله تعالى المكذبين بصفات الله : ما رأينا دعوى أبطل ولا أبعد من صحيح لغات العرب والعجم من دعواكم هذه، ففي دعواكم : إذا كان أولياء الله المؤمنون من رسله وأنبيائه وسائر أوليائه في ضيق وشدة وعوز من المأكل والمشرب، وفي خوف وبلاء، كانوا في دعواكم في سخط من الله وغضب وعقاب. وإذا كان الكافر في خصب ودعة وأمن وعافية، واتسعت عليه دنياه من مأكل الحرام وشرب الخمور كانوا في رضى من الله وفي محبة ما رأينا تأويلاً أبعد من الحق من تأويلكم هذا! [١٢]".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى واسكنه فسيح جناته في الفتاوى ٥/٤١٠ : "فزعموا أن قوله سبحانه ليس تنزيها له عن اتخاذ الولد - بناء على أصلهم الفاسد وهو أن الرب لا ينزه عن فعل من الأفعال - بل يجوز عليه كل ما يقدر عليه.

وكذلك جعلوا قول الأوزاعي وغيره **إن النزول ليس بفعل يشاؤه الله؛ لأنه عندهم من صفات الذات لا من صفات الفعل بناء على أصلهم وأن الأفعال الاختيارية لا تقوم بذات الله.**

فلو كان صفة فعل لزم أن لا يقوم بذاته؛ بل يكون منفصلا عنه.

وهؤلاء يقولون : النزول من صفات الذات ومع هذا فهو عندهم أزلي كما يقولون مثل ذلك في الاستواء والمجيء والإتيان والرضى والغضب والفرح والضحك وسائر ذلك، **إن هذا جميعه صفات ذاتية لله وإنها قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته واختياره؛ بناء على أصلهم الذي وافقوا فيه ابن كلاب وهو أن الرب لا يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته واختياره؛** بل من هؤلاء من يقول إنه : لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يقوم به فعل يحدث بمشيئته واختياره.

١٢ وهذا الكلام ينقض كلام علماء المعارض الذي نسب للإمام الدارمي رحمه الله تعالى.

بل من هؤلاء من يقول : إن الفعل قديم أزلي وإنه مع ذلك يتعلق بمشيئته وقدرته وأكثر العقلاء يقولون : فساد هذا معلوم بضرورة العقل؛ كما قالوا مثل ذلك في قول من قال من المتفلسفة : إن الفلك قديم أزلي وإنه أبدعه بقدرته ومشيئته.

**وجمهور العقلاء يقولون : الشيء المعين من الأعيان والصفات إذا كان حاصلا بمشيئة الرب وقدرته لم يكن أزليا.**

فلما كان من أصل ابن كلاب ومن وافقه كالحارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري والقضاة أبي بكر بن الطيب وأبي يعلى بن الفراء[١٣] وأبي جعفر السمناني وأبي الوليد الباجي، وغيرهم من الأعيان [١٤]، كأبي المعالي الجويني وأمثاله، وأبي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني وأمثالهما، أن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه **لا تحله الحوادث**، ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان وأتباعه من الجهمية والمعتزلة صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب على أحد قولين : إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه.

فيقولون : كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلام، وكذلك رضاه وغضبه وفرحه ومجيئه وإتيانه ونزوله وغير ذلك هو مخلوق منفصل عنه لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا : هذه الأمور من صفات الفعل؛ فمعناه أنها منفصلة عن الله بائنة وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.

---

١٣ هذا على مذهبه القديم لكنه تاب بعد ذلك ورجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وله كتاب في الرد على ابن فورك سماه (إبطال التأويلات) يقرر فيه عقيدة أهل السنة والجماعة.

١٤ أراد رحمه الله بذلك رؤوس أهل البدع.

**ولهذا يقول كثير منهم : إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات، وإما أن يجعلوا جميع هذه لمعاني قديمة أزلية، ويقولون : نزوله ومجيئه وإتيانه وفرحه وغضبه ورضاه، ونحو ذلك قديم أزلي كما يقولون : إن القرآن قديم أزلي".**

وقال ايضاً في الفتاوى – فصل الاستثناء في الإيمان– ٧/٤٣٠ : "وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث من قولهم : أنا مؤمن إن شاء الله؛ ويريد مع ذلك أن الإيمان لا يتفاضل؛ ولا يشك الإنسان في الموجود منه، وإنما يشك في المستقبل وانضم إلى ذلك أنهم يقولون : **محبة الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم.**

ثم هل ذلك هو الإرادة أم صفات أخر ؟ لهم في ذلك قولان.

وأكثر قدمائهم يقولون : إن الرضى والسخط والغضب، ونحو ذلك صفات ليست هي الإرادة، كما أن السمع والبصر ليس هو العلم، وكذلك الولاية والعداوة.

**هذه كلها صفات قديمة أزلية** عند أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، ومن اتبعه من المتكلمين، ومن أتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم.

قالوا : والله يحب في أزله من كان كافرا إذا علم أنه يموت مؤمنا.

فالصحابة ما زالوا محبوبين لله وإن كانوا قد عبدوا الأصنام مدة من الدهر، وإبليس ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد.

وهذا على أحد القولين لهم، فالرضى والسخط يرجع إلى الإرادة، والإرادة تطابق العلم.

فالمعنى : ما زال الله يريد أن يثيب هؤلاء بعد إيمانهم، ويعاقب إبليس بعد كفره، وهذا معنى صحيح، فإن الله يريد أن يخلق كل ما علم أن سيخلقه.

وعلى قول من يثبتها صفات أخر يقول : هو أيضا حبه تابع لمن يريد أن يثيبه، فكل من أراد إثابته فهو يحبه، وكل من أراد عقوبته فإنه يبغضه وهذا تابع للعلم.

وهؤلاء عندهم لا يرضى عن أحد بعد أن كان ساخطا عليه، ولا يفرح بتوبة عبد بعد أن تاب عليه؛ بل ما زال يفرح بتوبته.

والفرح عندهم إما الإرادة وإما الرضى، والمعنى : ما زال يريد إثابته أو يرضى عما يريد إثابته .

وكذلك لا يغضب عندهم يوم القيامة دون ما قبله؛ **بل غضبه قديم إما بمعنى الإرادة وإما بمعنى آخر**".

وقال ايضاً في الفتاوى ١٢/ ٣١٩ : "وحدثت طائفة أخرى من السالمية وغيرهم - ممن هو من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف، ومنهم كثير ممن هو ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وكثر هذا في بعض المتأخرين المنتسبين إلى أحمد بن حنبل - فقالوا بقول المعتزلة، وبقول الكلابية، **وافقوا هؤلاء في قولهم إنه قديم،** ووافقوا أولئك في قولهم : إنه حروف وأصوات، وأحدثوا قولا مبتدعا - كما أحدث غيرهم - **فقالوا** : **القرآن قديم وهو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا**.

واحتجوا على أنه قديم بحجج الكلابية، وعلى أنه حروف وأصوات بحجج المعتزلة.

فلما قيل لهم : الحروف مسبوقة بعضها ببعض فالباء قبل السين، والسين قبل الميم، والقديم لا يسبق بغيره والصوت لا يتصور بقاؤه فضلا عن قدمه قالوا : الكلام له وجود وماهية كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم.

قالوا : والكلام له ترتيب في وجوده وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده وهي مقارنة لها في ماهيتها لم تتقدم عليها بالزمان وإن كانت متقدمة بالمرتبة كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض .

فإن الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله ومع هذا فإذا كتبه كان أوله متقدما بالمرتبة على آخره.

فقال لهم جمهور العقلاء : هذا مما يعلم فساده بالاضطرار؛ فإن الصوت لا يتصور بقاؤه، ودعوى وجود ماهية غير الموجود في الخارج دعوى فاسدة كما قد بسط في موضع آخر، والترتيب الذي في المصحف هو ترتيب للحروف المدادية والمداد أجسام فهو كترتيب الدار والإنسان وهذا أمر يوجد الجزء الأول منه مع الثاني، بخلاف الصوت فإنه لا يوجد الجزء الثاني منه حتى يعدم الأول كالحركة فقياس هذا بهذا قياس باطل، ومن هؤلاء من يطلق لفظ القديم ولا يتصور معناه، ومنهم من يقول يعني بالقديم إنه بدأ من الله وإنه غير مخلوق وهذا المعنى صحيح؛ لكن الذين نازعوا هل هو قديم أو ليس بقديم لم يعنوا هذا المعنى فمن قال لهم : إنه قديم وأراد هذا المعنى قد أراد معنى صحيحا، لكنه جاهل بمقاصد الناس مضل لمن خاطبه بهذا الكلام **مبتدع في الشرع واللغة**.

ثم كثير من هؤلاء يقولون : إن الحروف القديمة والأصوات ليست هي الأصوات المسموعة من القراء، ولا المداد الذي في المصحف، ومنهم من يقول : بل الأصوات المسموعة من القراء هو الصوت القديم، ومنهم من يقول بل يسمع من القارئ شيئان : الصوت القديم وهو ما لا بد منه في وجود الكلام".

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله تعالى – في شرح الطحاوية ص ١٧٩ : "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال :

أحدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها : أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

ورابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا : إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفا بشيء من ذلك!! وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه، **فقالوا : لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلا، و جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة أزلية،** فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت.

كما قال في حديث الشفاعة : ( إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك وسعديك والخير في يديك

فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك!

فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا[١٥]" ).

**الثانية :** إن هذا الكلام الذي نسب للإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – ليس من كلامه، ويظهر ذلك من السياق، فقد قال الإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – في النقض ٥٦١/١ : " فادعى أيضا أن كلام الله يحتمل أن يكون من أفاعيله، وأن أفاعيله زائلة عنه. وكل زائل عن الله مخلوق في دعواه [قيل له[١٦]: لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة. وقد أجمعنا على أن الحركة والنزول والمشي والاستواء على العرش، وإلى السماء قديم، والرضى والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة، فكل ما خرج من قول : "كن" فهو حادث. وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم. والله أعلم[١٧].]

فلم يزل يعيب[١٨] عن هذا القول ويلجلج به في صدره حتى صرح به، وهو يرى أنه ليس معه بالبلاد من يفطن لمذهبه.

فيقال لهذا المعارض : من زعم أن القرآن فعل الله الزائل منه فقد رجع عن قوله : كلام الله؛ لأن القول غير الفعل عند جميع الناس، والمفعولات كلها مخلوقة لا شك فيه. فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة **بعدما عاب من قاله، ورجع عيبه عليه** من حيث لا يشعر.

---

١٥ ينظر ايضا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية ٣٥٨/٢.

١٦ القائل هم أصحاب المعترض.

١٧ هذه الزيادة ليست ضمن مخطوطة دار الكتب القطرية وإنما هي في مخطوطة المكتبة السعودية بالرياض، وطبعة حامد الفقي، وضمن طبعة عقائد السلف، وحول هذا ينظر النقض بتحقيق الألمعي ٥٦١/١.

١٨ أي المعترض.

أرأيتك أيها المعارض إذا ادعيت في بعض كلامك أنه لا يجوز أن تقول : مخلوق ولا غير مخلوق، ولا يزاد على أن يقال : كلام الله ثم يسكت عما وراء ذلك لما أنه لم يخض فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فمن خاض فيه كان بزعمك مقدمًا بين يدي الله ورسوله. فكيف تركت فيه قول الله تعالى ومنهاج السلف، ورجعت عن كلام الله فجعلته فعلا له مخلوقا؟.

أو ما تخشى على نفسك ما تخوفت على غيرك؟ لقد ارتطمت فيما تخوفت على غيرك، وأنت لا تشعر، وصرحت بالمخلوق بعدما نسبت إلى البدعة من قالها، **وبؤت بما عبت على غيرك**[١٩] من التقدم بين يدي الله ورسوله وبايعت جهمًا والمريسي في دعواهما. زعم هذان أنه مجعول وزعمت أنت أنه مفعول، وكلا المعنيين سواء".

**الثالثة** : إن الإمام الدارمي رحمه الله تعالى قد فسر الحديث القدسي (من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا) بأن المراد من ذلك الرحمة، ومجازات الأعمال التي كان يعمل بها في الدنيا، فقد قال الإمام الدارمي في النقض ٤٩٩/١–٥٠٠: "إذ زعمت أن نزوله تقريب رحمته إياهم **كقوله الآخر : "من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا" فقلت : هذا تقرب بالرحمة. ففي دعواك في تفسير النزول : من تقرب إليه شبرًا تباعد هو عنه مسيرة ما بين الأرض إلى السماء، وكلما ازداد العباد إلى الله اقترابا تباعد، هو برحمته عنهم بعد ما بين السماء والأرض بزعمك"**.

وقال ايضاً في المرجع السابق ٧٤٦/٢ : " ثم فسرت قول عبد الله : "أنهم يكونون في القرب منه على قدر تسارعهم إلى الجمعة" **أن ذلك تقرب إليه بالعمل الصالح**، كما قال الله تعالى : (من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا).

١٩ الذين قالوا: له لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة .....كما تقدم.

ويلك أيها الحيران! إنما قال الله : (من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا) في الدنيا بالأعمال الصالحة لا في الآخرة يوم ترفع الأعمال عن العباد".

**الرابعة** : لقد نقل الإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – كلام علماء المعترض ليبين تناقض هذا المعترض لأنه كان يعيب كلامهم، ثم قال به.

قال الإمام الدارمي في المرجع السابق – كما في مخطوطة المكتبة السعودية بالرياض، وطبعة حامد الفقي، وضمن طبعة عقائد السلف[٢٠] – : "قيل له لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة. وقد أجمعنا على أن الحركة والنزول والمشي والاستواء على العرش، وإلى السماء قديم، والرضى والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة، فكل ما خرج من قول : "كن" فهو حادث. **وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم**. والله أعلم.

فلم يزل يعيب هذا القول ... [إلى أن قال] : فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة **بعدما عاب من قاله، ورجع عيبه عليه من حيث لا يشعر**".

**الخامسة** : الذي يقرر ذلك وينسبه للإمام الدارمي فهو يقرر لأهل السنة عقيدة الأشاعرة الكلابية فعند هؤلاء صفات الأفعال لله عز وجل قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته وإرادته وقد تقدم قول شيخ الإسلام في ذلك[٢١].

**السادسة** : إن الأشاعرة الكلابية هم الذين قالوا أن الهرولة صفة لله تعالى ولكنها تأول، كما قرر ذلك النووي وابن بطال والعيني وغيرهم[٢٢]، وأما أئمة أهل السنة المتقدمين[٢٣]، فلم يعدوا

---

٢٠ ينظر النقض طبعة مكتبة الرشد، تحقيق رشيد بن حسن الألمعي ٥٦١/١

٢١ ينظر صفحة ٥ .

٢٢ ينظر شرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٧ وفتح الباري لابن حجر ٥١٣/١٣ وعمدة القارئ للعيني ١٠١/٢٥ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٤/٣

الهرولة صفة لله تعالى في الحديث القدسي (من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)، فقد قال الإمام الترمذي -رحمه الله تعالى- في الجامع الكبير ٥/٥٥٤ بعد هذا الحديث : "ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث : من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً، يعني بالمغفرة والرحمة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا : إنما معناه يقول : إذا تقرب إليَّ العبد بطاعتي وبما أمرت تُسارِعُ إليه مغفرتي ورحمتي[٢٤]".

وقال الإمام ابن قتيبة-رحمه الله تعالى- في تأويل مختلف الحديث ص٣٢٧ بعد هذا الحديث : "**ونحن نقول إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد من أتاني مسرعاً بالطاعة، أتيته بالثواب أسرع من أتيانه، فكنى عن ذلك بالمشي وبالهرولة**، كما يقال فلان موضع في الضلال — والإيضاع : سير سريع- لا يراد به أنه يسير ذلك السير، وإنما يُراد أنه يسرع إلى الضلال، فكنى بالوضع عن الإسراع.

وكذا قوله : {**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ**} والسعي الإسراع في المشي، وليس يراد أنهم مشوا دائماً، وإنما يراد أنهم أسرع بنياتهم وأعمالهم، والله أعلم".

وقال أيضاً -رحمه الله تعالى- في المرجع السابق ص٣٩٧-٣٩٨ : "وكذلك قوله جل وعز {**إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**} لا يريد أنه معهم بالحلول، ولكن بالنصرة والتوفيق والحياطة، وكذلك قوله تعالى : من تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى ٢١٢/١٠:**
"وهو سبحانه يحب من يحبه، ولا يمكن أن يكون العبد محباً والله تعالى غير محب له، بل بقدر

٢٣ وقد قال بعض علماء أهل السنة المتأخرين بأن الهرولة صفة لله عز وجل، وأنها تمر على ظاهرها، وقولهم هذا مردود لمخالفتهم ظاهر الحديث وكذا عقيدة السلف المتقدمين أصحاب القرون المفضلة، وقد بينت ذلك في كتابي تحقيق الحديث القدسي" وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" ودراسته رواية ودراية.

٢٤ كلام الأعمش لم نقف له على إسناد، ولكن المعول على نقل الإمام الترمذي لكلام أهل العلم على هذا الحديث، ولم ينقل قولاً يخالف ذلك، إذ أن الإمام الترمذي معروف بنقله لأقوال أهل العلم في تفسير الأحاديث، وحسبك به إماماً.

محبة العبد لربه يكون حب الله له، **وإن كان جزاء الله لعبده أعظم** كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : (من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة).

وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح : (لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث".

فقد أقر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ج٥ ص٤٠٧ كلام الإمام ابن قتيبة في كتاب (تأويل مختلف الحديث) : "ليس يراد في شيء من هذا انتقال الجسم وإنما يراد به القصد إلى الشيء بالإرادة والعزم والنية ، وكذلك قوله : {**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**} **لا يراد به أنه معهم بالحلول؛ ولكن بالنصر والتوفيق والحياطة.**

وكذلك قوله عز وجل : ( من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة )"[٢٥] .

**السابعة** : وأما ما قاله علماء هذا المعترض[٢٦] بقولهم له (أجمعنا)[٢٧]، فليس فيه نقل للإجماع[٢٨] إذ اتفقوا هم والمعترض على ذلك، وهذا ظاهر من السياق، وواضح لمن له ادنى علم باللغة العربية.

---

٢٥ وقد أثنى ابن تيمية على هذا الكتاب بقوله في الفتاوى ج ٥ ص٤٠٣ : "وهذا تأويل طائفة من أهل العربية منهم أبو محمد بن عبدالله بن قتيبة، ذكر في كتاب (مختلف الحديث) له الذي رد فيه على أهل الكلام، الذين يطعنون في الحديث". ومن قال أن الشيخ الإسلام رد على ابن قتيبة في الكلام الذي تقدم نقله، فيلزم بأن الشيخ الإسلام يقول بالحلول لأن الإمام ابن قتيبة قال : "لا يراد به أنه معهم بالحلول؛ ولكن النصر والتوفيق والحياطة".

٢٦ الذي رد عليه الإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – في النقض.

٢٧ وفي نسخة : (أجمعنا واتفقنا).

٢٨ إذ قال الإمام الدارمي: قيل له: ولم يقل نقول له، أو قلنا له.

وقد فهم بعض أهل البدع من قول علماء المعترض بأن المسألة مجمع عليها[٢٩]، وهذا ناتج من جهلهم باللغة والعقيدة، وكذا في كلامهم هذا تضليل لأئمة أهل السنة والجماعة لأنهم خالفوا الإجماع بزعمهم، وكفى بذلك بهتاناً وأثم مبينا.

**الثامنة** : الذي ينقل عقيدة أهل السنة والجماعة لابد أن يكون قد تلقاها على يد علمائها، وأما الذي لم يتلق هذا العلم عن أهله؛ فسوف يخلط و يخبط في هذه المسائل، كحال أولائك الذين نقلوا قول المعتزلة و الكلابية فنسبوه للسلف.

قال الله تبارك وتعالى : {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[٣٠].

وقوله **{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ [٣١]}**[٣٢].

**التاسعة** : الذي ينسب هذا القول للإمام الدارمي، إنما يتهم الإمام الدارمي بالتناقض، إذ أن قول : " **لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة**" يناقض قول الإمام الدارمي: " **المفعولات كلها مخلوقة لا شك فيه**[٣٣]" مما يدل على أن القول الأول هو من قول أصحاب المعترض وليس للإمام الدارمي رحمه الله تعالى.

---

٢٩ قال الحافظ الذهبي في السير ٥٤٧/١٠: " هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعرين من العلم، عبارات وشقاشيق لا يعبأ الله بها، يحرفون الكلم عن مواضعه قديما وحديثا، فنعوذ بالله من الكلام وأهله".

٣٠ سورة الإسراء، آية ٣٦.

٣١ قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى في تعليقه على الواسطية ص ٣٤ : " إن القول على الله بلا علم من أعظم المحرمات، بل إنه يأتي في مرتبة أعلى من مرتبة الشرك، حيث رتب المحرمات في هذه الآية من الأدنى إلى الأعلى، والقول على الله يشمل القول عليه في أحكامه وشرعه ودينه كما يشمل القول في أسمائه وصفاته، وهو أعظم من القول عليه في شرعه ودينه، فسياق الآية الكريمة هنا للتنبيه على هذا، والله أعلم".

٣٢ سورة الأعراف، آية ٣٣.

٣٣ قال سبحانه وتعالى:{ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

**العاشرة** : إن قول أصحاب المعترض[٣٤]: "فكل ما خرج من قول كن فهو حادث، وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم".

هذا الكلام فيه إضمار بأن القرآن مخلوق، لذالك رد عليهم الإمام الدارمي بقوله : "فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة بعدما عاب من قاله، ورجع عيبه عليه".

وذلك لأن المعترض أخذ يعيب عليهم خلق القرآن ثم قال بقولهم، فمن نسب للإمام الدارمي هذا القول فقد نسب إليه القول بخلق القرآن[٣٥].

ومما يبين ذلك قول الإمام احمد – رحمه الله تعالى – في الرد على الزنادقة والجهمية ص ١٢٥-١٢٦ بعد قوله تعالى : {**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**}[٣٦] "فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له (كن) فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقا.

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته، لأن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله.

كأن يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة".

---

٣٤ الذي نسبه بعض أصحاب البدع إلى الإمام الدارمي رحمه الله تعالى.

٣٥ لقد نسب بعض أهل البدع من الرافضة ومن وافقهم هذا الكلام للإمام الدارمي، وغايتهم في ذلك التلبيس على أهل السنة والجماعة، وهذا لخبثهم وحقدهم على أهل السنة، فعليهم من الله ما يستحقون وهذا موجود في شبكة الأنترنت.

٣٦ سورة النساء، آية١٧١.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي – رحمه الله تعالى – في النقض ٢/٦٧٠ : "وأعجب من ذلك قولك : إني سألت بشرا المريسي عن قول الله تعالى : {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**}[٣٧]، فقال بشر: كونه كما شاء بغير (كن) أوما وجدت أيها المعارض فيمن رأيت من المشايخ شيخا أرشد من بشر وأعلم بتأويل هذه الآية من بشر الذي كفر برب قال قولا لشيء قط : كن فكان؟ وهذا المشهور من مذهبه المعروف في كل مصر: أن الله لم يتكلم بكلمة قط ولا يتكلم بها قط، فسؤالك بشرا عن هذه الآية من بين المشايخ دليل منك على الظنة والريبة القديمة، وأنك لم تسأله عن ذلك إلا عن ضمير متقدم، أفلا سألت عنه من أدركت من المشايخ، مثل أبي عبيد وأبي نعيم ونظرائهم من أهل الدين والفضل والمعرفة بالسنة؟! ثم ادعيت أن بشرا قال : معناه أن يكونه حتى يكون، من غير قول يقول له : (كن) ولكن يكونه على ما أراد.

ثم فسرت قول بشر هذا، فزعمت أنه عنى بذلك أن الأشياء ليست مخلوقة من (كن) ولكن الله كونها على ما أراد من غير كيفية، وللكلام وجوه بزعمك.

فيقال لهذا المعارض : قد افتريتما على الله جميعا فيما تأولتما من ذلك، وجحدتما قول الله تعالى {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**}[٣٨] إذ ادعيتما أن الأشياء لا تكون بقوله : (كن) ولكن يكونه بإرادته من غير قول : (كن)، وهذا هو الجحود بما أنزل الله؛ لأن الله تعالى جمع فيه القول والإرادة، فقال : (إِذَا أَرَدْنَاهُ) فسبقت الإرادة قبل (كن)، ثم قال : (كن) فكان بقوله وإرادته جميعا : فكيفية هذا كما قال أصدق الصادقين أنه إذا قال (كن) فكان، لا ما تأوله أكذب الكاذبين، وليست هذه المسألة مما يحتاج الناس فيها إلى تفسير ولا هي من العويص الذي يجهلها العوام، فكيف الخاص من العلماء؟ وليس هذا مما يشكل على رجل رزق شيئا من العقل والمعرفة حتى يسأل عنه مثل المريسي الذي لا يعرف ربه، فكيف يعرف قوله؟

---

٣٧ سورة النحل، آية ٤٠.

٣٨ سورة النحل، آية ٤٠.

وإنما امتنع المريسي وأصحابه من أن يقروا بهذا أنهم قالوا : متى أقررنا أن الله قال لشيء : (كن) كلاما منه لزمنا أن نقر بالقرآن والتوراة والإنجيل أنه نفس كلامه.

فامتنعوا من أجل ذلك؛ لأن الله – في دعواهم – لم يتكلم بشيء ولا يتكلم، والدليل على هذا المعارض بسؤال بشر عن هذه الآية قديما في شبابه وقد عرف مذهب بشر أنه اضطمر هذا الرأي في أول دهره وليس برأي استحدثه حديثا.

وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (قال الله إن رحمتي كلام، وعذابي كلام، وغضبي كلام، إنما قولي لشيء إذا أردت أن أقول له : (كن) فيكون).

ادعى هذا المعارض أيضا في قول الله تعالى لعيسى ابن مريم : (روح الله وكلمته) فقال : يقول أهل الجرأة في معنى كلمته : أي بكلمته، وإن سئلوا عن المخرج منه لم يقدروا عليه، وتأولوا على الله برأيهم.

فيقال لهذا المعارض : أويحتاج في هذا إلى تفسير ومخرج؟ قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله، أنه إذا أراد شيئا قال له : (كن فيكون) ومتى لا يقول له : (كن)، لا يكون، فإذا قال : (كن) كان، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته لا أنه نفس الكلمة التي خرجت منه، ولكن بالكلمة كان، فالكلمة من الله (كن) غير مخلوقة، والكائن بها مخلوق.

وقول الله في عيسى : (روح الله وكلمته) فبين الروح والكلمة فرق في المعنى، لأن الروح الذي نفخ فيها مخلوق امتزج بخلقه، والكلمة من الله غير مخلوقة لم تمتزج بعيسى، ولكن كان بها، وإن كره، لأنها من الله أمر، فعلى هذا التأويل قلنا، لا على ما ادعيت علينا من الكذب والأباطيل".

وقال الإمام البخاري في خلق أفعال العباد ص٣٥ : "وقيل لأبي عبيد : إن المريسي سئل عن ابتداء خلق الأشياء عن قول الله عز وجل : {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**}، فقال : كله كلام صلة، فمعنى قوله : أن يقول صلة، كقوله قالت السماء فأمطرت، وكقوله : قال الجدار فمال، قال : قال الله تعالى : (جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ)، والجدار لا إرادة له فمعنى قوله : إذا أردناه كوناه فكان، لم يكن عند المريسي جواب أكثر من هذا؛ **يعني إن الله تعالى لا يتكلم**.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : أما تشبيه قول الله : (إِذَا أَرَدْنَاهُ)، بقوله قالت السماء فأمطرت، وقال الجدار فمال، فإنه لا يشبه، وهذه أغلوطة أدخلها، لأنك إذا قلت : قالت السماء، ثم تسكت لم يدر ما معنى قالت حتى تقول فأمطرت، وكذلك إذا قلت : أراد الجدار ثم لم يبين ما معنى أراد لم يدر ما معناه، وإذا قلت : قال الله، اكتفيت بقوله : قال، فقال : مكتف لا يحتاج إلى شيء يستدل به على قال، كما احتجت إذا قال الجدار فمال، وإلا لم يكن لقال الجدار معنى، ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا وهو دونه، ومن قال هذا فقد قال على الله ما لم يقله اليهود والنصارى ومذهبه التعطيل للخالق" .

وكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى ٢٨٢/٩ : " قال تعالى : {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}[٣٩] فهو سبحانه يكون ما يشاء تكوينه، فإذا كونه كان عقب تكوينه متصلا به لا يكون مع تكوينه في الزمان ولا يكون متراخيا عن تكوينه بينهما فصل في الزمان ؛ بل يكون متصلا بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة والزمان بعضها ببعض.

وهذا مما يستدل به على أن كل ما سوى الله حادث كائن بعد أن لم يكن وإن قيل مع ذلك بدوام **فاعليته ومتكلميته**، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

---

٣٩ سورة يس، آية ٨٢.

**والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قال القرآن محدث ومن قال إن الرب لم يقم به كلام ولا إرادة، بل ولا علم بل ولا حياة ولا قدرة ولا شيء من الصفات.**

فلما ظهر فساد هذا القول شرعا وعقلا قالت طائفة ممن وافقتهم على أصل مذهبهم : هو لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه أمر لازم لذاته كما تلزم ذاته الحياة ثم منهم من قال : هو معنى واحد لامتناع اجتماع معان لا نهاية لها في آن واحد وامتناع تخصيصه بعدد دون عدد، وقالوا : ذلك المعنى هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا.

وقالوا : إن الأمر والنهي صفات للكلام لا أنواع له، فإن معنى "آية الكرسي" و"آية الدين" و {**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**} و{**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**} معنى واحد".

وقال ايضاً في المرجع السابق ٨٦/١٢ : " وصرح أحمد وغيره من السلف ان القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يقل أحد من السلف ان الله تكلم بغير مشيئته وقدرته ولا قال أحد منهم أن نفس الكلام المعين كالقرآن أو ندائه لموسى أو غير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلى لم يزل ولا يزال وان الله قامت به حروف معينة أو حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال فان هذا لم يقله ولا دل عليه قول أحمد ولا غيره من أئمة المسلمين بل كلام أحمد وغيره من الأئمة صريح في نقيض هذا وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وانه لم يزل يتكلم إذا شاء مع قولهم إن كلام الله غير مخلوق وانه منه بدأ، ليس بمخلوق ابتدأ من غيره، ونصوصهم بذلك كثيرة معروفة في الكتب الثابتة عنهم **مثل ما صنف أبو بكر الخلال في كتاب السنة وغيره وما صنفه عبد الرحمن بن أبي حاتم من كلام أحمد وغيره وما صنفه أصحابه وأصحاب أصحابه كابنيه صالح وعبد الله وحنبل وأبي داود السجستاني صاحب السنن والاثرم والمروذى وأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري صاحب الصحيح وعثمان بن سعيد الدارمي وابراهيم الحربي وعبد الوهاب الوراق وعباس بن عبد العظيم العنبري وحرب بن إسماعيل الكرماني ومن لا يحصى عدده من أكابر أهل العلم والدين وأصحاب**

**أصحابه ممن جمع كلامه وأخباره كعبد الرحمن بن أبي حاتم وأبي بكر الخلال وأبي الحسن البناني الاصبهاني وأمثال هؤلاء ومن كان أيضا يأتم به وبأمثاله من الأئمة في الأصول والفروع كأبي عيسى الترمذي صاحب الجامع وأبي عبد الرحمن النسائي وأمثالهما ومثل أبي محمد بن قتيبة وأمثاله وبسط هذا له موضع آخر.**

وقد ذكرنا في المسائل الطبرستانية و الكيلانية بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل **والمقصود هنا أن كثيرا من الناس المتأخرين لم يعرفوا حقيقة كلام السلف والأئمة فمنهم من يعظمهم ويقول انه متبع لهم مع انه مخالف لهم من حيث لا يشعر ومنهم من يظن أنهم كانوا لا يعرفون أصول الدين ولا تقريرها بالدلائل البرهانية وذلك لجهله بعلمهم بل لجهله بما جاء به الرسول من الحق الذي تدل عليه الدلائل العقلية مع السمعية فلهذا يوجد كثير من المتأخرين يشتركون في أصل فاسد ثم يفرع كل قوم عليه فروعا فاسدة يلتزمونها كما صرحوا في تكلم الله تعالى بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية وما فيهما من حروف الهجاء مؤلفا أو مفردا لما رأوا أن ذلك بلغ بصفات المخلوقين اشتبه بصفات المخلوقين فلم يهتدوا لموضع.**

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى – في شرح السفارينية ص ١٧٩ : "فقول الأشاعرة حيث قالوا : إن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق، ولكن الذي نقر به المعنى القائم بنفسه، وليس الشيء المسموع الذي يكون بالحروف، فإن هذا الشيء المسموع الذي يكون بالحروف خلق من مخلوقات الله، خلقه الله تعبيراً عما في نفسه، وليس هو كلام الله، لكن إضافته إلى الله من باب المجاز، فتُجُوِّز عما كان عبارة عن الشيء فسمي به الشيء، فسمي كلام الله لأنه عبارة عنه، وليس هو كلام الله، بل الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وهو أزلي أبدي لا يتعلق بمشيئته، بل هو وصف لازم له كلزوم الحياة والعلم والقدرة.

وعلى زعمهم هذا فهو لا يتكلم إذا شاء، كما أنه لا يعلم متى شاء، بل علمه لازم لذاته، فهم يقولون الكلام لازم لذاته ولا يتعلق بمشيئته، وعلى ذلك فالجهمية والمعتزلة خير منهم من

هذا الوجه؛ لأنهم يقولون : إن كلام الله يتعلق بمشيئته لكنه مخلوق، وهم يقولون لا يتعلق بمشيئته ولا بإرادته.

ثم يقولون : إن ما يسمعه محمد ﷺ وموسى وغيرهما من كلام الله، إنما هو شيء مخلوق، فهم قد شاركوا الجهمية والمعتزلة في أن ما يسمع مخلوق، لكن الجهمية قالوا : هو كلام الله، وهؤلاء قالوا : هو عبارة عن كلام الله، فوافقوا الجهمية في أن المسموع مخلوق، وخالفوهم في أنهم قالوا : إنه عبارة، وهؤلاء قالوا : إنه حقيقة".

ولذا فإن من عقيدة أهل السنة الإقرار بأن لله تعالى الكمال المطلق و أن كلامه تعالى متعلق بمشيئته وقدرته فهو يتكلم إذا شاء متى شاء ويسكت إذا شاء، وأن الله إذا أراد لأمر أن يقول له كن فيكون فكن كلامه وصفته متعلقة بإرادته ومشيئته فمتى أراد تكوين شيء قال له كن فيكون، والممفعولات كلها مخلوقة لا شك فيه ففعل الله صفة لله والمفعول غيره من الخلق، ليس كما يدعيه بعض أهل البدع كما تقدم.

**الحادية عشر** : إن القول الذي نسب للإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – : "وقد أجمعنا على أن الحركة والنزول والمشي والاستواء على العرش، وإلى السماء قديم" : ليس في هذا الكلام دلالة على إثبات أن الهرولة صفة لله عز وجل[٤٠] ولا الصفات الأخرى التي ذكرت، بل في هذا الكلام تقرير لعقيدة أهل البدع والأهواء من الكلابية و الأشاعرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ٤١٢/٥ ولهذا يقول كثير منهم[٤١]: "إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات، وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون نزوله

٤٠ علماً بأن الهرولة في الحديث القدسي (من تقرب .....) ليست من أحاديث الصفات كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

٤١ أي الأشاعرة الكلابية.

وبحيئه وإتيانه وفرحه وغضبه ورضاه؛ ونحو ذلك : قديم أزلي كما يقولون : إن القرآن قديم أزلي".

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى في شرح الطحاوية ص ١٧٩ "**فقالوا**[*] : **لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصل، و جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية**، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت".

**الثانية عشر** : وإما قولهم "والرضى والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات" أي أنه يمتنع أن تحل الحوادث بذاته، وهذا القول محدث أنكره أهل السنة على أهل الكلام.

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في الفتاوى ١٤٧/٦ : "ويقولون أي الكلابية يمتنع أن تحل الحوادث بذاته كما يسميها قوم آخرون : فعل الذات بالذات أو في الذات؛ ورأوا أن تجويز ذلك يستلزم حدوثه؛ لأن الدليل الذي دلهم على حدوث الأجسام قيام الحوادث بها؛ فلو قامت به لزم أحد الأمرين؛ إما حدوثه أو بطلان العلم بحدوث العالم".

وقال أيضاً في درء تعارض العقل والنقل ٢٣٩/١ : "بل قول القائل : إن الله جسم أو ليس بجسم، أو جوهر أو ليس بجوهر، أو متحيز أو ليس بمتحيز، أو في جهة أو ليس في جهة، **أو تقوم به الأعراض والحوادث أو لا تقوم به، ونحو ذلك؛ كل هذه الأقوال محدثة بين أهل الكلام المحدث، لم يتكلم السلف و الأئمة فيها، لا بإطلاق النفي ولا بأطلاق الإثبات، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام الذين يتكلمون بمثل هذا النوع في حق الله تعالى نفيا وإثباتا**".

---

* أي الأشاعرة الكلابية.

**الثالثة عشر** : من عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الله يتصف بالصفات الاختيارية كالكلام والنداء والرضا والغضب والحب والبغض والرحمة والرأفة والانتقام والإتيان والنزول والاستواء على العرش والخلق والرزق وغير ذلك من صفاته العلية التي تقوم بمشيئته واختياره؛ ومعنى تعلقها بمشيئته واختياره أنه تعالى لا يزال متكلما إذا شاء ولا يزال رحيما إذا شاء ولا يزال خالقا إذا شاء، وهكذا، فالصفة ثابتة له سبحانه وتعالى، وهي متعلقة بمشيئته، فإن شاء تكلم وإن شاء سكت وإن شاء خلق، وإن شاء لم يخلق، وإن شاء غضب، وإن شاء رضي.

ومن الأدلة الموضحة لذلك :

قوله تعالى : {**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**}[٤٢].

وقوله تعالى : {**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**}[٤٣].

وقوله تعالى : {**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**}[٤٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**[٤٥]".

---

٤٢ سورة الأعراف، آية ١١.

٤٣ سورة الزخرف، آية ٥٥.

٤٤ سورة محمد، آية ٢٨.

٤٥ أخرجه البخاري في صحيحه ٣٨٤/١ ومسلم في صحيحه ٥٢١/١ وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**"[٤٦].

وغيرها من الأدلة الثابتة في الكتاب والسنة.

**أحمد الله وأشكره على أن يسر لي أتمام هذا البحث، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجه الكريم، وأن يدخر لي أجره يوم ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.**

**حرره خالد بن عبدالله العلوي في يوم الجمعة،**
**التاسع من ذي الحجة سنة سبعة وعشرون**
**وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية**
**مملكة البحـرين**
**حرسها الله تعالى**

٤٦ أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٤٠/٣ ومسلم في صحيحه ١٥٠٤/٣ وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.